الشعر العربي ظاهرة إلقائية.. غير صحية[1]

ظاهرة إلقائية

متى يكفّ الشعر العربي عن كونه ظاهرة إلقائية؟

لا يمر شهر واحد عليَّ دون أن أتلقى دعوة لإقامة - أو إحياء !- أمسية شعرية.. ولا تمر عليَّ دعوة واحدة دون اعتذار.

وعبر تجربتي مع الشعر، هذه التجربة التي تتجاوز خمساً وأربعين سنة، لم تكن هناك سوى أقل من عشرين أمسية شعرية.. أو أكثر .. قليلاً..

أي بمعدل أمسية شعرية كل سنتين..

والسبب؟!

السبب أني أرى أن الأمسيات الشعرية لا تكشف عن جمال الشعر.، (وإن فعلت ذلك، كان ذلك عَرَضاً) بقدر ما تكشف عن جمال الحنجرة.

(١) عن «سوق الخميس» المنشورة في الأيام (١٩٩٥م).

obeikandl.com

.. بمعنى أن الجمهور لا يعجب بشعر وإنما يطرب لإلقاء..

وأنا، إمّا لتواضع زائد أو لغرور زائد، أود لشعري أن يحكم عليه من دون «محسنات» صوتية.

.. دون تصفيق.

.. ودون «أَعِدْ»!..

ولا أعتقد أن في القاموس العربي كلمة «تترفزني» مثل كلمة «أَعِدْ!» .. (باستثناء الخصخصة والخوصصة!) ومثل «أحسنت»!..

أتصوّر عندما أسمع هذه الكلمات - وأمثالها - أني حيوان من حيوانات السرك المدرَّبة.

.. أتذكر أيام: «مَنْ بالباب مِن الشعراء؟»

.. وأيام : «يا غلام! املأ فاه جوهراً!»..

ومع ذلك تجد من الشعراء مَنْ يعتبر التصفيق مقياس النجاح.. الوحيد.. الأوحد!!

opeikandi.com

متى إذن، نتجاوز المرحلة «السماعية» إلى المرحلة «العقلية» .. أو المرحلة «الروحية» ؟..

من دون هذا التجاوز سوف يظل الشعر العربي ظاهرة إلقائية..

وسيكون أعظم الشعراء أضخمهم حنجرة..

أو أقدرهم على القفز أمام الجمهور.. مثل حيوانات السيرك.. ليظفر.. بتصفيق.. أو «أَعِدّ!»..

أو «أحسنت!»..

.. أنا لا أحب أن أعيد..

رحم الله والديكم!!

وقصة عن الظاهرة الإلقائية

يروي أكرم زعيتر في كتابه «بدوي الجبل وإخاء أربعين سنة» نقلاً عن بدوي الجبل ما يلي:

كنا مدعوين إلى تأبين أحمد شوقي في أربعينه في القاهرة، وأُجلسنا معشر الشعراء على المسرح، وقد

امتلأت القاعة بالحضور.. وكان الشاعر خليل مردم بك بقربي ولمحنا فلاناً (وسمّى شاعراً نظّاماً من لبنان) يدخل القاعة، ويصعد المنبر. فتساءل خليل مردم بك: «ومن الذي دعاه؟ أيجوز أن يكون مثله في صف مؤبّني شوقي في هذا الحفل؟» (جملة اعتراضية من كاتب هذه السطور: لاحظ الغيرة بين الشعراء! حتى على التأبين لا نخلو من الحسد.. ولكن تلك قصة أخرى!) فأجبته: «اصبر وسترى ما يَسرُّك!!».

ودُعي المذكور إلى إلقاء قصيدة فلم يكد يتلو البيت الأول بإلقائه البديع حتى دوت القاعة بالتصفيق واستعيد البيت، وتصاعد التصفيق الحاد، وصاح أحدهم: «والله إن مثل هذا الشعر لا يجوز أن يتلى إلا ونحن وقوف». فوقف الجمهور، ووقفت وخليل مردم بك تحية لهذا الشعر مع الواقفين وأمرنا لله، حتى أنهى القصيدة في عواصف من التصفيق، وأخرج مردم بك علبة سجاير من جيبه وكتب على ظهرها عبارة سخرية لاذعة من جمهور كهذا أ. هـ.

حسنا.. يا بدوي الجبل العظيم.. يكفيك أن أحدا لم يعد يتذكر الشاعر النظَّام (المذكور) وتبقى أنت.. وتبقى:

غـــاب عند الثـــرى أحـــبـــاء قلبي
فـــالـثـــرى وحـــدَه الحـــبـــيـبُ الخليلُ
خيّمتْ وحشـةُ الفراغ على الأحباب..
.. فـــــالقـــــبـــــرُ وحـــدَهُ المـأهـولُ
ألفُ هيـجاء خُضـتها لـم تجدّ لك..
.. أحـقـاً أنت الصـريعُ الجـديلُ؟!

ويبقى ما قلته في حفيدك أجمل ما قاله شاعر عربي في حفيده:

تـودُّ النـجـــومُ الـزهـرُ لو أنهـــا دمـي
ليــخـتـار منهـا المتـرفـات ويلعـبـا
وعـنـدي كنوزٌ من حنانٍ ورحـــمـــة
نعـيــمَي أن يُغـري بهن وينهـبـا!
يجـورُ.. وبعضُ الجـور حلوٌ مـحـببٌ
ولم أرَ قـبل الطفل ظُلمـاً مـحـبّـبـا
ويغضبُ أحيـانا.. ويرضى.. وحسبُنا
من الصفو.. أن يرضَى علينا ويغضبا

obeikandi.com

يزُّف لنا الأعـيـاد: عـيـداً إذا خطا
وعـيـداً إذا ناغى .. وعـيـدا إذا حـبـا
المعـــــذرة يا بـدوي الجـــــبـل!..
كـــــدتُ أقـــــولُ «أعِـــــدْ!»..
المعذرة!

ولماذا كان الشعر العربي ظاهرة غير صحية؟!

قطع كسرى لسان لقيط بن يعمر الإيادي. أما طرفة ابن العبد فقُطِعَتْ يداه ورجلاه ودُفن حياً. وقُطِعَ عرقُ عبديغوث الحارثي حتى مات وهو ينزف. وحَبس النعمانُ عُدي بن زيد العبادي وقتله. وقَتل النعمانُ عبيدَ ابن الزبرحي (بالعرق ذاته!).

ودُفن المنخلُ اليشكري حياً. وحَرقت قبيلةُ بني الحسحاس عبدها سحيم حرقًا. ودَفن الوليد بن عبدالملك وضّاحَ اليمن حيّا في بئر وقُتل يزيد بن الطثرية.

وقتل الحجاجُ أبا جلدة اليشكري. وصلبَ المهديُّ صالحَ بن عبدالقدوس. ومات بشارُ بن برد ضرباً

بالسياط. ومات ابُن الدمينة في السجن. وقتل المأمونُ عليَ بن جبلة (العكوك) ومات الزّيات في تنّور. ومات محمد بن صالح العلوي في سجن سُرَّ مَنْ رأى. ومات ابن الرومي مسموماً. ومات المتنبي مقتولاً. ومات أبو فراس مقتولاً. ومات التهامي في سجنه. وقتل المعتمدُ محمدَ بن عمار بنفسه. ومات ابن هاني الأندلسي مخنوقاً بتكة سراويله.. إلخ.. إلخ.

لا بد من الوقوف عند هذا الحد.. فأنا لا أريد أن أرعب الشعراء المعاصرين.. ولا أرعب نفسي.. وسامح الله الذين يكررون أن الشعراء العرب لم يعرفوا إلا المديح.. سامحهم الله!.. ووقاهم شر الموت مخنوقين بتكة سراويلهم!!

الشيء بالشيء يذكر

ومما كتبه كاتب هذه السطور إلى صديقه أبي الملوك(١) ـ عبدالرحمن رفيع ـ في عام تسع وخمسين وتسعمائة وألف ميلادية. من المنامة إلى القاهرة:

(١) نسبه إلى أبنائه فهد وفيصل وخالد.

إذا كنتَ أنتَ أحب الرفاق
نسيتَ العهود.. فمَنْ ذا بقي؟!
طمعتُ بكتبك بعد الفراق
وقلتُ ستذكرُ هذا الشقي
وما كنتُ أعلم أن سطورك
أندرُ «من بيضة النُّقنق»

و «بيضة النقنق» تعبير كان أبو الملوك وقتها يستملحه.. ولعله.. من قبيل «بيض الصعو».. والله أعلم! وقد كان هذا قبل خوف أبي الملوك من الكولسترول!!

الأبجدية في بيت واحد

يروي أبو بكر محمد بن داوود الأصبهاني صاحب كتاب الزهرة في باب «الشعر الذي يستظرف لخروجه عن حد ما يعرف» أبياتاً جمعت الحروف كلها.

* ومنها:

صف خَلق خود كمثل الشمس إذ بزغتْ
يحظى الضجيع بها نجلاء معطار

obeikandl.com

* ومنها:

هلا سكنت بذي ضغث فقد زعموا
شخصت تطلب ظبياً راح مجتازا

* ومنها:

اصبر على حفظ خُضر واستشر فطناً
وزُجّ همّك في بغداد منثملا

وروى في الباب نفسه شعراً عربياً/ فارسياً:

وقائل قال لي فأفحمني
يا هائم القلب ما ترى رشدك!
قلبُك هذا كم أنت تاركه
عند الذي ليس قلبه عندك
يا كور شنيئم وكور دل وشوخ
روى بنا إندكا تدك!

وروى شعراً عربياً/ رومياً:

حبّذا قولها وقد لحظتني
من وراء السرير بوسا نيسى

opeikandi.com

قلت: مـــا قـــول أي شـــيـــئين
والأعـــز شك.. فـــإنني قـــاقـــوس!
فـــإذا مـــا فـــعلت ذاك فـــعندي
لـقـطّـينـا نـعـم.. ومـلـيـــــارُ يـس!

قال كاتب هذه السطور:

لو أدرك صاحب الزهرة أيامنا هذه لأتحفنا بشعر عربي/ عبري!

والله المستعان على ما يصفون.. ويطبّعون!!

وللّه در العاميّة البحرينية التي تساوي بين «التطبيع» .. «والتغريق»!

بين الشباب والمشيب

قال أبو الشيص:
يـطـوف عـلـيـنـا بـهـــــا أحـــــورٌ
يداه من الكأس مـــخـــضـــوبتـــانِ
ليَـــالـي يُحـــســبُ لـي مـن سنـيّ
ثمـــان.. وواحـــدةٌ.. واثـنـتـــانِ

غـــلامٌ صـــغــيـــرٌ أخـــو شـــرةٍ
يطيـــرُ مع اللهـــوبي.. طـائرانِ
جـــرور الإزارِ.. خليع العــــذار
عليَّ لعـــهـــد الصـــبـــا بردتان
أصـــــــــيبُ الذنـوب.. ولا أتـقـي
عـــقـــوبة.. مـــا يكتب الكاتبـــانِ
فــــراجــعتُ لما أطار الشـــبـــاب
غـــرابان عن مـــفـــرقي. . طـائرانِ
وأقـــصـــرتُ لما نهـــاني المشـــيبُ
وأقـــصـــر عن عـــذلي العـــاذلانِ
وعـــــافتْ لعُـــوب وأترابهـــــا
دنـوّي إليـــــهـــــا.. ومَلَّتْ مكانيِ
رأتْ جـــلاً وَسَـــمَـــتْـــهُ السنون
بـريّب المشـــيـب وريّب الـزمـــانِ
رحمك الله يا أبا الشيص!..

ورحمنا معك!

obeikandl.com

وفي الختام عن الوداع.. قالوا..

* **قال البحتري:**

وعـــــــرفت مـــــا يلقى المودّعُ
عند ضـــــمّك.. واعـــــتناقكْ
وعلمت أن لقـــــــــاءَنا
سببُ اشتياقي واشتياقكْ
وتركتُ ذاك تعـــــمّـــــدًا
وخـــــرجتُ أهربُ من فـــــراقكْ.

* **وقال ذو الرمّة:**

فلمـــا تلاحـــقنا.. ولا مـــثل مـــا بنا
من الوجـــد.. لا تنقضّ منه الأضـــالعُ
غَـــدوْن. فـــأحـــسن الوداع.. فلم نقل..
كـــمـــا قُلن.. إلا أن تُشـــيـــر الأصـــابعُ
وخَـــالسنَ بسّـــامـــا إلينا كـــأنما
تصـــيب به حَبَّ القلوب.. القـــوارعُ

obeikandi.com

* **وقال آخر:**

أمّـــا الرحـــيلُ فـــحين جـــدَّ ترجَّلتْ
مُـــهجُ النفـــوسِ له عن الأجـــســـادِ
مَنْ لم يمتْ والبينُ يصـــدعُ شـــملَهُ
لم يدرِ كـــيف تفـــتّتُ الأكـــبـــادِ

* * *

obeikandl.com